جامعة8 ماي 45 قالمة – كلية الحقوق والعلوم السياسية– أ. حنان شريط

محاضرات مقياس اقتصاد سياسي السنة أولى حقوق

المحور الخامس: النظام الاشتراكي

بعد سنوات من تطبيق النظام الرأسمالي في أوروبا الغربية والو م أ تعرض إلى هجوم شديد من قبل اقتصاديين أطلق عليهم اسم الاشتراكيين انتقدوا المبادئ العامة للنظام الرأسمالي المتمثلة أساسا في الملكية الخاصة والسعي لتحقيق الربح وامتلاك الثروة.

و يعود الفضل للألماني كارل ماركس(1818–1883) كونه من قام بوضع أسس الاشتراكية العلمية التي كانت تهدف إلى تعويض مبادئ النظام الرأسمالي، وسانده في ذلك التفاوت الطبقي والاضطهاد الكبير الذي عانته طبقة العمال في الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر، وقد تأثر كارل ماركس فكريا بالفيلسوف الألماني هيجل(1770–1831) وهو ما هيأه لرفض الافتراضات والمبادئ التي يقوم عليها النظام الرأسمالي، ومن الفكر الهيجلي جاءت فكرة أن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تكون دائما في تحوّل مستمر وعندما تبرز طبقة اجتماعية معينة وتحتل المكانة الأولى اجتماعيا لا تلبث أ تظهر طبقة اجتماعية أخرى وقوة تنافسها وتتحداها وخير مثال على ذلك هو بروز طبقة الرأسماليون أو الصناعيون الجدد (البرجوازية الجديدة) مكان الطبقة الحاكمة القديمة(ملاك الأراضي)، أي أن الطبقة البرجوازية تحدّت الطبقة الاجتماعية السابقة لها(ملاك الأراضي) وسيطرت على المقدّمة وهي بدورها سوف تتعرض لتحدّ كيان اجتماعي جديد هو طبقة العمال.

من جهة أخرى إذا كان النظام الرأسمالي يفترض أن الدولة توجد من أجل الفرد نجد لكارل ماركس رأي معارض وهو أن: الفرد يوجد من أجل الدولة، فالدولة هي التي تمنحه الحماية وإمكانية الوجود بشكل متحضر ومستمر ومن هنا فإن الدولة يجب أن تتحضر ويكون لها الدور الأسمى.

وفي كتابه (رأس المال)أشار ماركس إلى إنجازات النظام الرأسمالي في مجال الإنتاج، وذكر أن النظام الرأسمالي وفي فترة لم تتجاوز المائة عام حقق إنجازات لم تحققها الأجيال السابقة مجتمعة، وأشار أيضا إلى إنجازات أخرى للرأسمالية وإن كانت فرعية كخلق المدن الجديدة وزيادة سكان الحضر زيادة كبيرة مقارنة بسكان الريف، الأسعار الرخيصة للسلع والمنتجات، لكن بعد تطرّقه بإيجاز لإنجازات الرأسمالية وجه **كارل ماركس** تركيزه نحو **جوانب ضعف النظام الرأسمالي(عيوب) والتي أجملها في ما يلي:**

- التوزيع غير المتكافئ في السلطة: حسب ماركس فإن السلطة جزء مهم في الحياة الاقتصادية ومصدر هذه السلطة هو الملكية الخاصة وبالتالي فإنه تلقائيا تكون السلطة ملكية طبيعية وحتمية للرأسمالي، وأن سلطة الرأسمالي هنا لا تقتصر على مشروعه فقط بل تمتد أيضا إلى المجتمع والدولة ككل، فالجهاز الإداري في الدولة ما هو إلا لجنة لإدارة الشؤون المشتركة للطبقة الحاكمة(البرجوازية) ، وأضاف ماركس بأن هذه السلطة الرأسمالية تمتد لتشمل الاقتصاديين، ومن ثم يخضع علم الاقتصاد والاقتصاديون لنفوذ سلطة الرأسمالي.
- التوزيع غير المتكافئ للدخل: رأى ماركس أن هذا النظام يشجع على تكريس الفروقات في توزيع الدخل، حيث يؤخذ على الرأسمالية أن ما تدعو إليه من حريات هي حريات نظرية لا فعلية، نتيجة لسوء توزيع الدخول وما يؤدى إليه من تفاوت الفرص . فحرية العمل غير مكفولة للجميع من الناحية الفعلية حيث كمثال بسيط يتمتع أبناء الأغنياء بفرص أفضل من أبناء الفقراء في الحصول على المؤهلات العلمية وشغل المراكز والوظائف المرموقة وإقامة المشروعات لحسابهم.
- الأزمات المتتالية للنظام الرأسمالي: عانى النظام الرأسمالي من موجات وهزات متلاحقة كأزمة الكساد والبطالة عصفت بالاقتصاد العالمي وهزت أركانه، ومع الكساد الكبير وما سببه من تعاسة وشقاء كانت الاشتراكية هي البديل الواضح والمتاح والممكن.
- الاحتكار: لم يقتصر الأمر على نقاط الضعف السابقة بل توجد نقطة أخرى أشار لها كارل ماركس وهي الاحتكار، أي تركز النشاط في أيدي فئة قليلة من الرأسماليين وعلى الرغم من اعتراف الرأسماليين بهذه النقطة ويرونها استثناءا من القاعدة الحاكمة للسوق وهي

المنافسة وأنها لا تمثل خطرا على النظام في جملته، إلا أن ماركس يرى أن تركز الملكيات لدى فئة قليلة يؤدي إلى قيام الاحتكار وكذلك انعكاس إرادة الأقلية المالكة لغالبية ثروة المجتمع على السياسة العامة للدولة بما يحقق مصالحها.

بناءا على ما تقدّم يمكن القول أن النظام الاشتراكي يتحد مع النظام الرأسمالي في تطبيق الفنون الإنتاجية المتقدمة من حيث تقسيم العمل واستخدام الآلات، ولكن التقدم الفني في النظام الرأسمالي يبقى مسؤولية المشروعات الخاصة(الملكية الخاصة) في حين يجب أن تضطلع به الدولة في النظام الاشتراكي(الملكية العامة) ، ففي النظام الاشتراكي تسيطر الحكومة على الموارد المادية والبشرية، وتقوم عن طريق هيئات إدارية للتخطيط بتوجيه الإنتاج، وتوزيع الناتج الإجمالي على نحو يضمن التوازن بين الإنتاج والاستهلاك وبين الادخار والاستثمار، فالحكومة هي التي تقرر تفاصيل كيفية استخدام الموارد الاقتصادية للمجتمع من أرض وعمل ورأسمال عن طريق خطة مركزية لها طابع الإلزام .

وبالتالي يمكن تعريف النظام الاشتراكي كما يلي: الاشتراكية من الناحية العلمية تعني النظام الذي تؤول فيه ملكية الإنتاج والأراضي والآلات والمصانع للدولة، بمعنى آخر فإن الاشتراكية على خلاف ما تقتضيه الرأسمالية تقوم على الملكية الجماعية لعناصر الإنتاج المختلفة. **ويمكن إبراز أهم خصائص النظام الاشتراكي في النقاط التالية:**

- الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج: أي أن الملكية الفردية والخاصة في هذا النظام تنحصر في أشياء بسيطة فقط كالسلع الاستهلاكية مثلا أما الملكية الجماعية تأخذ صورتين، ملكية الدولة أو الجمعيات التعاونية(للصناعات الصغيرة و الأراضي الزراعية...)
- جهاز التخطيط هو الذي يخصص الموارد: الدولة هي التي تقوم بتحديد كيفية توزيع الموارد(جهاز التخطيط داخل الدولة)، وذلك من خلال وضع قومية شاملة هذه الخطة تشمل جميع المتغيرات الاقتصادية داخل الدولة؛
- إشباع الحاجات العامة وإلغاء حافز الربح: الهدف الرئيسي للنظام الاشتراكي هو القضاء على الطبقية وجعل المجتمع طبقة واحدة وبالتالي إلغاء نظام حافز الربح أي لا يصبح الهدف من النشاط الاقتصادي هو تحقيق الربح، ونظير عدم وجود ربح يقوم النظام الاشتراكي بتغطية حاجات المجتمع مجانا (التعليم، الصحة....)

إيجابيات وسلبيات النظام الاشتراكي:

من أبرز إيجابيات النظام الاشتراكي نجد:

- التوزيع المتكافئ للسلطة
- عدم التفاوت في الدخل
- اختفاء الأزمات الدورية
- عدم وجود الاحتكار

وككل نظام اقتصادي تنطوي الاشتراكية على عدة سلبيات نذكر منها:

- إهدار الموارد الاقتصادية
- غياب حرية المستهلك
- انتشار البيروقراطية وأحيانا غياب الجودة في الإنتاج